أوقاف
AWQAF
مركز ريادة
RIYADAH CENTER

الوقف والفلسفة الأخلاقية
كيف دعمت الأوقاف الحراك الثقافي عبر التاريخ؟

1447هـ - 2026م

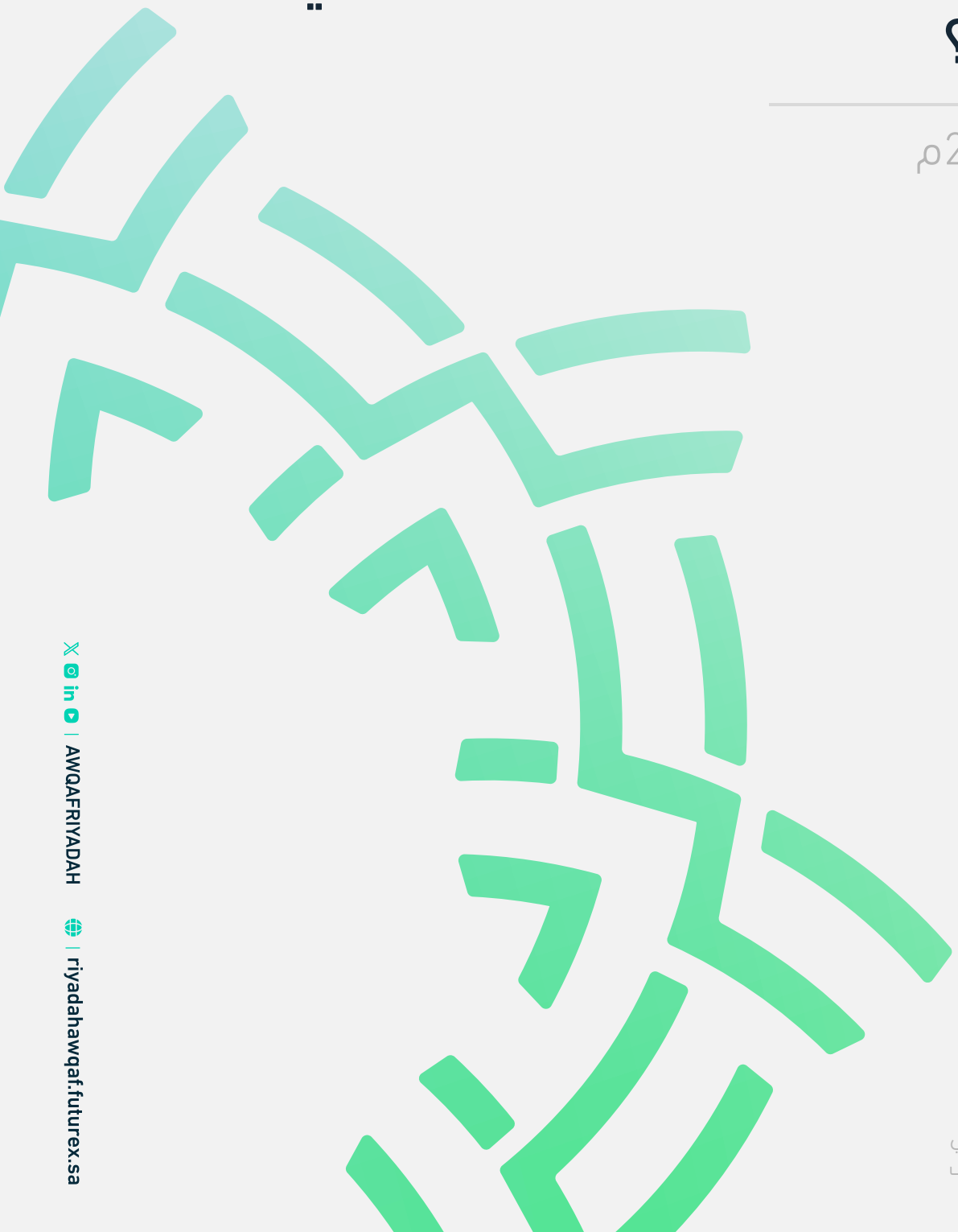

AWQAFRIYADAH | riyadahawqaf.futurex.sa

الذراع المعرفي والتمكيني
للهيئة العامة للأوقاف

يصدر مركز ريادة الذراع المعرفي والتمكيني للهيئة العامة للأوقاف سلسلة نشرات معرفية، امتدادًا لموضوعات ومحاور سلسلة اللقاءات المعرفية التي يعقدها المركز لعام 1446 ه - 2025 م، والتي تهدف لرفع الوعي المعرفي المتخصص بالأوقاف، حيث إن الوقف منذ عصور مديدة يعد جامعًا للعديد من الأفكار التي تتعلق بالواقف والمجتمع، ولا ينحصر دور الوقف على جانب معين، بل يتسع دوره حتى ظهر أثره في نواحٍ مختلفة تجعل الباحث عنها، والمنقب عن تفاصيلها في دهشة جليّة. فتناولت اللقاءات، المتنوعة في عنوانيها، والمتفقة في فكرتها، النظر للوقف الإسلامي من زوايا مختلفة وأبعاد متعددة، لإظهار الجوانب الاجتماعية والفكرية والحضارية للوقف، بدءًا من عالم الأفكار، وصولًا إلى المكتبات والوثائق الوقفية، وتمحيصًا في أثر الوقف في عمارة المسجد حتى أصبح مركز إشعاع حضاري، وصولًا إلى علم الفلك وتأثير الحركة الوقفية في نشأته وتطوره. **وسنلحظ في هذه النشرات، أن الوقف عبر العصور، وفي مختلف العلوم والمجالات، كان عاملًا حضاريًا فارقًا، على صعيد المعرفة والأمكنة، والأزمنة، ولا تزال هذه الآثار تتضاعف وتقدم لنا نموذجًا فارقًا للتنمية المجتمعية والاقتصادية.**

الفهرس

المقدمــة 4

كيف ينظـر الفكـر الإسلامـي إلى الوقف أخلاقيــا؟ 6

هل الوقـف تعبيـر عن الإيـثار المطلق أم أداة لتحقيـق الاستدامة المجتمعية؟ 8

الوقف بين التجربة الإسلاميــة والخيال الإنساني المعاصـر 10

المقدمة

الوقف في الحضارة الإسلامية ظاهرة تتجاوز حدود المال والعقار، ليغدو فكرة عميقة تحمل أبعادًا فلسفية ترتبط بالزمن والخلود ومعنى الخير؛ فمن خلاله يجد الإنسان وسيلة تجعل أثره ممتدًا بعد رحيله، في صورة صدقة جارية تضمن استمرار النفع وتحقق قيمة الاستدامة، هذه الرؤية تجعل الوقف على صلة وثيقة بالفلسفة، إذ كلاهما ينشغل بالغايات والمعاني الكلية، ويبحث في كيفية تحويل المبادئ الأخلاقية إلى ممارسة عملية.

ارتبط الوقف منذ نشأته بالمقاصد الكبرى للشريعة الإسلامية: حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل، وبذلك صار أداة تحفظ كيان المجتمع وتدعمه عبر العصور.

فالمساجد التي عمرت بالأوقاف، والمدارس التي فتحت أبوابها للطلاب، والمستشفيات التي استقبلت المرضى، كلها شواهد على أن الوقف لم يكن عملاً إحسانيًا عابرًا، بل ممارسة حضارية تستند إلى رؤية فلسفية ترى في الخير قيمة مستدامة، وفي العطاء وسيلة لإعمار الأرض.

وقد شهد التاريخ الإسلامي أمثلة لافتة تؤكد هذا المعنى، فالمدرسة النظامية في بغداد، التي أنشأها الوزير نظام الملك في القرن الخامس الهجري، كانت وقفًا مخصصًا لتعليم الفقه والعلوم الشرعية، وجعلت من طلب العلم حقًا ميسرًا للفقراء والأغنياء على حد سواء.

والمستشفيات التي انتشرت في دمشق وبغداد والقاهرة، مثل البيمارستان النوري، كانت تُدار بأموال الأوقاف، وتوفّر العلاج المجاني للمرضى، بل وتخصص لهم ما يكفي فترة النقاهة بعد الخروج، هذه الصور تكشف أن الوقف كان فلسفة عملية للعدالة الاجتماعية، لا مجرّد وسيلة إدارية.

ومن هذا المنظور، يظهر الوقف كصورة عملية للبعد الفلسفي في الإسلام، فهو يوازن بين الإيثار الفردي ومتطلبات الجماعة، ويحوّل المبادرة الفردية إلى مؤسسة عامة قادرة على البقاء والتجدد، فقد خصصت أوقاف لطباعة الكتب ونشر المعرفة، وأخرى لإيواء الغرباء والمسافرين، وأخرى لإطعام المحتاجين، بل وُجدت أوقاف للحيوانات والطيور. هذا الاتساع في صور الوقف يعكس كيف تحوّل إلى فلسفة متكاملة للعطاء والرحمة.

الوقف كذلك يحمل في جوهره فكرة الاستخلاف؛ فهو يذكّر بأن المال أمانة، وأن استثماره في خدمة المجتمع واجب أخلاقي بقدر ما هو ممارسة اقتصادية، ومن هنا يتقاطع مع النقاشات الفلسفية حول العدالة والمسؤولية، ويقدّم نموذجًا لـ"الاقتصاد الأخلاقي" الذي يربط بين القيم والتنمية، ويجعل من العطاء المستمر أحد أعمدة العمران البشري.

بهذا المعنى، يصبح الوقف نقطة التقاء بين التجربة الإسلامية والفكر الفلسفي، أي أنه منظومة فكرية تحمل تصورًا عن معنى البذل وغاية الوجود، وعن دور الفرد في المجتمع.

كيف ينظر الفكر الإسلامي إلى الوقف أخلاقيا؟

يحتل الوقف في الفكر الإسلامي موقعًا أخلاقيًا مميزًا، فهو ممارسة تتجاوز الحسابات الاقتصادية لتلامس منظومة القيم التي يقوم عليها المجتمع. عندما يختار الإنسان أن يجعل جزءًا من ماله وقفًا دائمًا، فإنه يعبّر عن وعي داخلي بالمسؤولية ويحوّل هذه المسؤولية إلى أثر مؤسسي يدوم عبر الأجيال، من هنا يظهر الوقف بوصفه أداة لترجمة القيم الأخلاقية إلى واقع ملموس.

أول ما يلفت النظر في هذا السياق هو ارتباط الوقف بالمقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، هذه المقاصد تتمثل في حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل، وهي الأسس التي يقوم عليها كيان المجتمع؛

- فالوقف على المساجد يعزز الجانب الروحي ويحفظ الهوية الدينية.
- الوقف على المدارس والمكتبات يوسع المعرفة ويقوي العقول.
- الوقف على المستشفيات والمراكز الصحية يحمي حياة الناس.
- الوقف على الفقراء والأيتام يضمن استمرار الأسرة ويحفظ الكرامة.
- أما الأموال الموقوفة فتتحول إلى مورد دائم يساهم في البناء والاستقرار.

هذه الصلة المباشرة بين الوقف والمقاصد تجعل منه ممارسة أخلاقية تعكس غاية الشريعة في حماية الإنسان ومصالحه.

إلى جانب هذا البعد المقاصدي، **يحمل الوقف وظيفة تربوية عميقة**؛ فهو يعلّم الفرد كيف يتجاوز ذاته ويجعل من العطاء قيمة يعيش عليها، فالواقف حين يخصّص ماله للنفع العام يرسّخ في نفسه معنى التضحية ويحوّل الكرم إلى سلوك دائم، ومع تكرار هذه الممارسات تنشأ ثقافة مجتمعية تعتبر البذل أحد أركان الاجتماع، ويصبح الوقف بذلك أداة لتربية النفوس على قيم العطاء والمسؤولية.

البعد الاجتماعي

وفي البعد الاجتماعي، يظهر الوقف كآلية لإرساء العدالة التوزيعية، فالأصول المحبوسة تظل قائمة، والريع المتولد عنها يُوجَّه إلى جهات النفع، فتتحقق من خلاله الموازنة بين فئات المجتمع، هذه الآلية العملية تجعل الوقف قناة مستقرة لإعادة توزيع الثروة بما يضمن تلبية حاجات المجتمع على المدى الطويل، ومن خلاله تتحول الأخلاق إلى نظام اقتصادي يربط بين العدالة والاستدامة.

الاقتصاد الأخلاقي

كما يقدّم الوقف مثالًا واضحًا لما يُعرف بالاقتصاد الأخلاقي؛ فالمال في التصور الإسلامي أداة للعمارة لا مجرد وسيلة للربح، ويقاس أثره بمدى إسهامه في تحقيق الخير المشترك، الوقف يجسد هذا الفهم حين يضمن بقاء الموارد في خدمة الصالح العام ويوجه العوائد نحو التعليم والرعاية والعون الإنساني، وبذلك يصبح النشاط المالي في ذاته ميدانًا لتجسيد الفضيلة، وتتداخل القيم الاقتصادية مع المبادئ الأخلاقية في منظومة واحدة.

العمق الفلسفي

وفي العمق الفلسفي، يعبّر الوقف عن مفهوم الاستخلاف الذي يشكّل أساس العلاقة بين الإنسان والمال في الإسلام، المال أمانة في يد الإنسان، والوقف وسيلة لإعادة هذه الأمانة إلى المجتمع على نحو منظم، ومن خلال الوقف تتحدد الملكية باعتبارها مسؤولية مشتركة، ويصبح الإنسان شريكًا في بناء العمران وتحقيق العدالة بين الناس، وهنا يبرز الوقف باعتباره ممارسة أخلاقية تربط الفرد بمجتمعه، وتربط الحاضر بالمستقبل، وتربط الفعل المادي بالقيمة الروحية.

تتجمع هذه الأبعاد لتصوغ صورة متكاملة للوقف أخلاقيا في الفكر الإسلامي، فهو يجسد الإيثار الفردي، ويربي النفس على التضحية، ويحقق العدالة التوزيعية، ويمثل نموذجًا للاقتصاد الأخلاقي، ويعكس فلسفة الاستخلاف، بهذه العناصر يتجاوز الوقف حدود المؤسسة الاجتماعية ليصبح فلسفة عملية للأخلاق، تبيّن كيف تتحول المبادئ إلى مؤسسات، وكيف يمكن للعطاء أن يكون قاعدة حضارية تعزز استقرار المجتمع وتضمن استدامة الخير فيه.

هل الوقف تعبير عن الإيثار المطلق أم أداة لتحقيق الاستدامة المجتمعية؟

الوقف وجهان لعملة واحدة : وجه يطلّ منه الفرد بضميره الحيّ وإيمانه العميق، ووجه آخر يطلّ منه المجتمع بكيانه الواسع واحتياجاته الممتدة، فهو من جهة فعل إنساني يفيض بالإيثار، ومن جهة أخرى نظام حضاري يمدّ خيوط العطاء عبر الأجيال.

في الوجه الأول، يقف الواقف أمام ماله، فيرى فيه امتحانًا لنفسه: هل يضمه إلى صدره ويزداد به أنانية، أم يرسله في طريق الخير ليبقى أثره بعد رحيله؟ هنا يولد الإيثار في أنقى صوره؛ إيثار لا يكتفي بابتسامة ولا بلقمة عابرة، بل يخلّد نفسه في مال محبوس وريْع جارٍ، تلك هي الصدقة الجارية التي شجع عليها النبي ﷺ، وتلك هي الروح التي تجعل من الوقف فعلًا أخلاقيًا خالدًا.

في الوجه الثاني، يظهر الوقف كمؤسسة راسخة، الأصل ثابت، والريع متدفق، والجهات المنتفعة تتبدل مع تبدل حاجات المجتمع، لكن الخير يظل حاضرًا لا ينقطع، ومن هنا تتحول النية الفردية إلى مشروع جماعي، ويتحوّل العطاء إلى نظام متكامل. الاستدامة في الوقف ليست شعارًا، بل هي حقيقة تتجلى في كل مدرسة فتحت أبوابها بمال موقوف، وفي كل مريض عُولج من ريع وقف، وفي كل يتيم وجد كفاية من صدقات دائمة.

الوقف يجمع بين هذين الوجهين في صورة واحدة، فالإيثار يعطيه روحه، والاستدامة تعطيه جسده، والإنسان لا يعيش بالروح وحدها ولا بالجسد وحده، فإذا انفصل العطاء عن الإيثار، صار آلة جافة لا حياة فيها، وإذا انفصل عن الاستدامة، صار عاطفة عابرة تنطفئ سريعًا، الوقف وحده هو الذي يجمع بين العاطفة والنظام، فيجعل الخير نابعًا من القلب، ثم يضع له مؤسسات تحفظه وتديره.

وهذا الجمع بين الفرد والمجتمع يعكس حكمة الشريعة في مقاصدها الكبرى، فهي لم ترد للإنسان أن يعيش بذاته فقط، ولا أن يذوب في الجماعة حتى يضيع صوته، بل أرادت له أن يسهم وهو حاضر بوعيه، وأن يشارك وهو ممتلئ بإنسانيته؛ لذلك كان الوقف جسرًا بين القلب والعقل، بين اللحظة العابرة والديمومة المستمرة.

وفي لغة الفلسفة يمكن القول: الوقف تجربة في العدالة والزمن؛ في العدالة لأنه يوازن بين يد تملك ويد تحتاج، وفي الزمن لأنه يحبس الأصل ليبقى أثره ممتدًا، ومن هذا الباب دخل في باب الاقتصاد الأخلاقي، حيث يرتبط المال بالقيم ويقاس بما يضيفه للناس لا بما يضيفه لصاحبه.

أما في أفق أوسع، فإن الوقف يضع الإنسان في موضع الاستخلاف؛ المال ليس مجرد غنيمة، بل أمانة، والواقف حين يحبس شيئًا من ماله إنما يعلن أنه أدى جزءًا من الأمانة التي حملها، وأنه لم يجعل المال غاية بل وسيلة لبناء العمران وصيانة المجتمع.

الوقف إذًا ليس خيارًا بين الإيثار الفردي أو الاستدامة الجماعية، بل هو الجمع الخلاق بينهما، هو إحساس إنساني صادق يعبّر عن سمو النفس، وهو أيضًا مؤسسة اجتماعية ترعى حاجات الناس وتواجه تقلبات الزمان.

في داخله روح الفرد وهمّة الجماعة، وفي حركته تلتقي الرحمة مع الحكمة، بهذه الثنائية عاش الوقف قرونًا، يحفظ التوازن بين القلب والعقل، وبين البذل والعدل، وبين اللحظة الحاضرة والغد القادم.

الوقف بين التجربة الإسلامية والخيال الإنساني المعاصر

حين نتأمل النماذج الوقفية في التاريخ الإسلامي، ثم نضعها إلى جوار التصورات الغربية عن العمل الخيري، يظهر لنا بوضوح أن الوقف لم يكن مجرّد وسيلة للعطاء، بل كان نظامًا حضاريًا متكاملًا.

في الغرب

ففي الغرب، غالبًا ما ارتبطت المؤسسات الخيرية بمبادرات فردية، بينما عرف العالم الإسلامي منذ قرون شبكة من الأوقاف التي نسجت حياتها في التعليم والصحة والعمران، والمدارس، والمكتبات، والمستشفيات، والطرق، وحتى موارد المياه، كلها كانت شاهدة على أن الوقف لم يكن عملًا ثانويًا، بل ركيزة من ركائز العمران.

في التجربة الإسلامية

الفارق الجوهري أن الوقف في التجربة الإسلامية انطلق من تصوّر ديني وفلسفي يربط المال بالقيم، ويجعل من العطاء واجبًا مستمرًا لا يخضع لتقلّبات المزاج أو السوق، أما في التصورات الغربية، فقد ظلّ العطاء أقرب إلى فعل فردي أو اجتماعي يستجيب للحاجة المباشرة، وكلا النموذجين يعكس جانبًا من القيم الإنسانية، غير أن الوقف الإسلامي قدّم صيغة تمزج بين الروح والهيكل، بين النية الخالصة والمؤسسة الراسخة.

وعندما ننقل البصر إلى الحاضر، نجد أن الحديث عن الأوقاف لا ينفصل عن مفهوم الاقتصاد الأخلاقي. فالمجتمع المعاصر يواجه أسئلة معقدة: كيف تُدار الثروة؟ كيف تُوزّع الموارد؟ كيف يُضمن الحق للأجيال القادمة؟ هذه الأسئلة تجد في الوقف إجابة أصيلة، لأنه يربط الاستثمار بالقيمة، ويجعل من المال خادمًا للإنسان لا العكس، الوقف بهذا المعنى ليس أثرًا من الماضي، بل أفقًا للمستقبل، يقدّم نموذجًا يعيد الاعتبار للإنسان في زمن تسوده لغة الأرقام.

إن الجمع بين التجربة الإسلامية وما أبدعته الحضارات الأخرى يفتح الباب أمام فكر جديد في إدارة العطاء، الوقف ليس تراثًا نحتفظ به في الكتب، ولا مؤسسة جامدة نكررها من غير روح، بل هو فلسفة إنسانية واسعة، قادرة على أن تجيب عن حاجات اليوم كما أجابت عن حاجات الأمس، هو الجسر الذي يربط بين الإيثار الفردي والاستدامة الجماعية، بين الماضي الذي شيّد الجامعات والمستشفيات، والمستقبل الذي يبحث عن اقتصاد أخلاقي عادل.

بهذا المعنى، يعد الوقف رؤية أخلاقية وفلسفية، تجعل من الخير قانونًا ممتدًا، ومن الرحمة قاعدة تبني المجتمعات، ولعل خلاصة الوقف في الفكر الإسلامي هي: عطاء يربط الفرد بالجماعة، ويصوغ علاقة الإنسان بالمال، ويضع لبنة في بناء حضارة تستند إلى العدل والرحمة معًا.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية:

- سوسن فاضل كاظم. الوقف الإسلامي كأداة تنموية في المدن الإسلامية الكبرى (بغداد – القاهرة – قرطبة). مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد 15، المجلد 27، تموز 2025م.
- آدم بوقرة. مقاصد الوقف وأثره في التنمية. جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية، إسطنبول، مجلة الصراط، المجلد 27 العدد 1،جوان 2025م.
- شعيب مڤنونيف، وأسماء حمرة. الوقف ودوره في تدعيم فلسفة تربية المبادرة وإرساء مبادئ التطوع. جامعة تلمسان، الجزائر،
- مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد 11، سبتمبر 2017م.
- يحيى السيد عمر. الوقف وأثره على الاقتصاد والمجتمع. دار الأصالة للنشر والتوزيع، إسطنبول، الطبعة الأولى، ذو القعدة 1443هـ/يونيو 2022م.
- مركز دراسات الوحدة العربية. الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي (بحوث الندوة الفكرية). بيروت، الطبعة الثانية، 2010م.